السيرة الذاتية الموسوعية وسمات النوع الأدبي

The encyclopedic autobiography and the features of the literary genre

عزة شبل محمد *

azza_shebl_cu@hotmail.com

الملخَّص:

جاءت هذه الدراسة بعنوان: "**السيرة الذاتية الموسوعية وسمات النوع الأدبي**"، موضحةً التعريف بفن السير الذاتية، وأنواعها، ودوافع تأليفها، وكاشفةً عن سمات نوع السيرة الموسوعية، من خلال تحليل السيرة الذاتية "في ظلال الحياة" للأستاذ الدكتور عوض الغباري، الصادرة عن دار المعارف عام 2024م، حيث تسعى هذه الدراسة إلى تتبع ثقافة الكاتب، ومصادرها، وتجلياتها في التشكيل اللغوي لخطاب السيرة، من منظور تحليل الخطاب. فقد استطاع الكاتب أن يضفر سيرته الذاتية بعدة خطابات تكشف عن الهوية الثقافية والتاريخية والاجتماعية للمجتمع المصري على مدار عقد من الزمان، متناولاً بالتحليل والنقد أهم مصادر الثقافة العربية الإسلامية في شتى فنون المعرفة؛ وهو ما جعل سيرته تتسم بالطابع الموسوعي.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية الموسوعية، النوع الأدبي، تحليل الخطاب.

* أستاذ اللغويات بكلية الآداب – جامعة القاهرة؛ أستاذ اللغة العربية بكلية اللغات الأجنبية بجامعة أوساكا – اليابان.

Abstract:

This paper entitled "**The encyclopedic autobiography and the features of the literary genre**" provides a definition of autobiography, its types, motives, and the specific features of encyclopedic autobiography, through the analysis of autobiography "*Fi Thilal Alhayat*" [In the shades of life] by Professor Awad Al-Ghubary, that was published by Dar Al-Maaref, in 2024. This study aims to trace the author's culture, sources, and reflection in the discourse language of the autobiography, from a discourse analysis perspective. The author managed to integrate his autobiography with other discourses reflecting cultural, historical, and social identity of the Egyptian community in a decade. He tackled the most important sources of Arab and Islamic culture within the various arts and knowledges. Therefore, this autobiography is characterized as encyclopedic.

Keywords: Encyclopedic autobiography, Literary genre, Discourse analysis.

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بفن السير الذاتية، وأنواعها، ودوافع تأليفها، ومحاولة الكشف عن سمات السيرة الذاتية الموسوعية، من خلال تحليل سيرة "في ظلال الحياة" للأستاذ الدكتور عوض الغباري، الصادرة عن دار المعارف، 2024م، متتبعة ثقافة الكاتب، ومصادرها، وتجلياتها في التشكيل اللغوي لخطاب السيرة، من منظور تحليل الخطاب. tقد استطاع الكاتب المتخصص في دراسة الأدب المصري نحو ما يقرب من خمسين عامًا أن يضفر خطاب السيرة الذاتية بعدة خطابات، تحمل في طياتها ملامح الشخصية المصرية، وهويتها، ويعبر عن ارتباطها بالمكان، مشيرًا إلى القضايا التاريخية والاجتماعية، وموقف المجتمع المصري تجاهها، متناولاً بالتحليل والنقد أهم مصادر الثقافة العربية الإسلامية في شتى فنون المعرفة؛ بما يجعلها سيرة ذاتية من نوع خاص، ويضفي عليها الطابع الموسوعي.

جاءت السيرة الذاتية "في ظلال الحياة" خلاصة تجربة في الحياة العملية والعلمية، فجمعت إلى جانب القيم الإنسانية، آراء نقدية، وفلسفية، وأصبحت، بما تضمنته من أحداث ووقائع، بمثابة وثيقة تاريخية للعديد من الأحداث الكبرى التي مر بها المجتمع المصري في عقود طويلة من تاريخه. وقد وردت السيرة مرتبة زمنيًّا وفق المراحل العمرية للكاتب، في سبعة فصول، يجمعها العنوان الرئيسي "في ظلال الحياة" المتناص مع كتاب "في ظلال القرآن"، وجاءت عناوين الفصول معبّرة عن مراحل نشأة المؤلف وتكوينه، وفكره، ونضوجه الثقافي، كاشفةً عن وعي معرفي، وحكمة فلسفي؛ لذا فقد استطاع المؤلف أن يمزج سيرته الشخصية بالعديد من القضايا الفكرية، والموضوعات التي تخص الشأن العام للبلاد، وختم السيرة بالفصل السابع وعنوانه "بداية جديدة" مستشرفًا المستقبل برؤية الفيلسوف الحكيم، ومقدمًا خلاصة تجربته للأجيال الناشئة.

فن السيرة الذاتية: أنواعها، وسماتها:

تناول العديد من الكتب والدراسات التعريف بفن السيرة، ونشأتها في التراث العربي، وأنواعها، وخصائصها، وعلاقتها بالأنواع الأخرى من سرديات الذات كاليوميات، والمذكرات، والاعترافات، وهي إرهاصات مهمة في الكشف عن السمات العامة لبنية النوع الأدبي. وقد كان تصنيف النقاد لأنواع السير الذاتية خاضعًا لرؤية السمة الغالبة عليها. من هذا المنطلق، نجد السير التاريخية التي يغلب عليها سرد الوقائع التاريخية، أو الحديث عن الشخصيات التاريخية، كما نجد السير الشعرية، والسير الاجتماعية، وسير المغامرات، وسير البلدان التي تتناول وصف البلدان، وحياة الأمم والشعوب، وحياة الأفراد، وسير الملوك والنبلاء والأبطال، وسير العامة من الناس، والسير السياسية، وسير المتصوفة، والسير الفلسفية، والسير العلمية، والسير الأدبية، وقد قام الدكتور شوقي ضيف عام 1956م بعرض هذه الأنواع من السير في كتابه المعنون بـ "الترجمة الشخصية".

في هذه الدراسة نحاول الكشف عن خصوصية نوع السيرة الموسوعية، وأثرها في تشكيل لغة النص، في ضوء المناخ الثقافي الذي عاصره الكاتب، وصولاً إلى الدوافع النفسية التي تكمن وراء تأليف الخطاب، وبيان تفرده. فالسيرة على الرغم من كونها خطابًا أدبيًّا، فإنها وثيقة يتداخل فيها الماضي مع المستقبل، فهي خطاب تاريخي بالدرجة الأولى من حيث عملية التوثيق، وربط الأحداث الشخصية بالتاريخ العام، أما من حيث المقاصد، والمآرب، فهي خطاب نفعي مستقبلي، يسعى الكاتب من خلاله إلى تخليد ذاته، وذكر مآثره، ومنجزاته، وبعض جوانب من حياته على المستوى الإنساني، والثقافي؛ لتبقى سيرته حيّة خالدة عبر الزمن.

وللسيرة نوعان، أولهما السيرة الذاتية Autobiography، ويعرفها عبد العزيز شرف بأنها "تعني حرفيًّا ترجمة حياة الإنسان كما يراها هو؛ فإنها بهذا المعنى تدور بين قطبي

"الفكر" و"الفعل"؛ باعتبارهما قطبين أساسيين من أقطاب الحياة البشرية."(شرف، ص27، 1992م) أي يعرضها الكاتب من وجهة نظره، وبتصوير انفعالاته، ومشاعره تجاه الوقائع والأحداث التي يسردها. أما فيليب لوجون فيذهب في تعريفه للسيرة بأنها "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة" (لوجون، ص22، 1994م)، ففي السيرة الذاتية نطرح رؤية لما نسميه ذاتنا وأفعالها، وتأملاتها، وأفكارها، ومكانها في العالم."(بروكمبير، كربو، ص47، 2015م)

وقد أشار "فيليب ليجون" إلى أن شرط وجود السيرة الذاتية هو ذلك "الميثاق الأوتوبيوغرافي" ليكون "هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية" (البغدادي، ص 192، 2016م)، بالإضافة إلى ذلك نجد أن السير الذاتية تتعلق بالواقع، وتبتعد قليلاً عن الخيال، فهي تحكي قصة صاحبها، والأحداث التي عاصرها، وتكشف عن ومضات من حياته، وأفكاره، وأحاسيسه.

أما النوع الآخر من السير، فهو السيرة الغيرية Biography التي تحكي عن الآخر، سواء كان شخصية تاريخية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو أدبية؛ لذلك فهي تستخدم ضمير الغائب. ويصنف "شكري المبخوت" السير القديمة في ظل سياقها الثقافي إلى ثلاثة أصناف، أولها، السير الشهادة، حيث وضع بعض الأسلاف سيرهم؛ ليسجلوا ما عايشوا من أحداث ومواقف سياسية، ومن أبرز هؤلاء ابن خلدون. والنوع الثاني هو السير التربوية، وهي سير وضعها أصحابها بعد أن خاضوا تجارب روحية وفكرية متقلبة أوصلتهم، أو هكذا اعتقدوا، إلى يقين ما. فقصدوا بالحديث عن تجاربهم إلى نصح الناس، وأبرزها سيرة أبي حامد الغزالي. أما النوع الأخير، فهو سير المغامرات، وهي سير ذاتية كتبت لوصف مغامرات ومشاهدات عجيبة مثيرة، وأهمها "كتاب الاعتبار" لأسامة بن منقذ. (المبخوت، ص25، 1992م)

وعلى الرغم من أن فن السيرة الأدبية حديث نسبيًا، فإن مصطلح "سيرة" أول ما استعمل في التراث العربي القديم "كان مرتبطًا بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلّم)، فقد بلغت كتابة السير والتراجم "على يد العرب ما لم تبلغه على يد الإغريق والرومان، فأرخوا للمدن، كما أرخو للأعلام." (النجار، ص34، 1964م) ويفرق "محمد عبد الغني حسن" بين السير والتراجم، ذاكرًا أنه "قد جرت عادة المؤرخين أن يسموا الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نَفَس الكاتب فيها، فإذا ما طال النَّفَس، واتسعت الترجمة سُميت سيرة." (حسن، ص 27، 1955م)، و يذهب إلى أن وجود التراجم والسير مرتبط بقدم وجود الإنسان، فالترجمة للأشخاص "قديمة قِدَم الإنسان نفسه، ولا شك أنها ظهرت مع الكتابة في الأمم التي عرفت الكتابة واستخدمتها في مسائل حياتها...وكثيرًا ما تأتي الترجمة مع التاريخ موازية له في النشأة؛ لأنها في الحق نوع من التأريخ للرجال على نسق معين."(حسن، ص 10، 1955م) كما يمكننا أن نتلمس جذور فن السير في العديد من كتب الطبقات، وأدب الرحلة، والرسائل الإخوانية، والموسوعات التاريخية وغيرها من المؤلفات التي ترصد وقائع حقيقية لحياة الأشخاص.

لقد عرف التراث العربي السير النثرية، كما عرف السير الشعرية، فبعض كُتَّاب التراجم قد تأنقوا في الكتابة بنثر مسجوع، و"لعل أقدم تاريخ منظوم هو ما صنعه عبد الله بن المعتز المتوفى سنة 296 هـ في قصيدته التاريخية في أشعار الخلفاء والملوك"(حسن، ص35، 1955م)، بل إنه يمكننا القول إننا يمكن أن نتلمس جذور السير الشعرية منذ العصر الجاهلي، في أغراض المدح، والرثاء، والغزل، والفخر.

تطور فن السيرة ودوافع تأليفها:

اختلف النقاد حول نشأة فن السيرة، هل هو فن حديث، أم له جذور في التراث العربي؟ فالنصوص تتغير بتغير سياقاتها الاجتماعية والتاريخية والثقافية. لكن الكثير من النقاد يذهب إلى أن السيرة "جنس فني أدبي قديم ومستحدث في نفس الوقت، له هويته ومقوماته، وشروطه الخاصة بين الأجناس الأدبية الأخرى." (بوصبع، ومنصوري، ص223، 2021م) ويشير الدكتور "شوقي ضيف" إلى أن "أقدم صورة للترجمة الشخصية تلك الكلمات التي كان ينقشها القدماء على شواهد قبورهم، فيعِّرفون بأنفسهم، وقد يذكرون بعض أعمالهم. واشتهر المصريون في عصور الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهراماتهم وفي معابدهم وهياكلهم من تواريخهم وأفعالهم. وكانت تسري هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم." (ضيف، ص7، 1956م). وترى "سهير القلماوي" أن فن كتابة السيرة من الفنون الأدبية التي تطورت على مر العصور، فقد "حمل من كل أمة، ومن كل عصر خصائص مختلفة، فكان تاريخ هذا الشكل وحده مرآة ترى فيها تغيرات العصور." (القلماوي، ص51، 1960م)

وتبعًا لهذا التطور، تتعدد الدوافع التي يطمح الكُتَّاب من ورائها إلى كتابة سيرهم الذاتية، فلا شك أنهم يجدون متعة في الحديث عن أنفسهم. فيذهب "إحسان عباس" في كتابه "فن السيرة" إلى أن "الغاية الأولى التي تحققها السيرة الذاتية هي الغاية المزدوجة التي يؤديها كل عمل فني صحيح، أعني تخفيف العبء على الكاتب بنقل التجربة إلى الآخرين، ودعوتهم إلى المشاركة فيها." (عباس، ص99، 1996م) أي أنَّ السيرة الذاتية "عمل سردي يعتمد على معطيات شخصية يوظِّفها صاحبها في قالب معين، لغاية يهدف من وراء كتابتها إما توطيدًا للذات، أو تنفيسًا عن انفعالات أو حالة نفسية ألمَّت به، أو تبريرًا لموقف غير مستساغ صدر منه، أو دفاعًا عن قضية فكرية أو اجتماعية آمن بها.

وقد تُكتَب السيرة الذاتية لدوافع خارجية. وهذه الدوافع تتمثل في تعليم الآخرين، فتصبح سيرة الذات مجموع تجارب تفيد القارئ." (بوصبع، ومنصوري، ص227، 2021م)

ويشير "يحيى عبد الدايم" إلى أن حوافز كتابة السير الذاتية، منها التبريرية، والرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة، وتصوير الحياة المثالية، وتصوير الحياة الفكرية، والرغبة في استرجاع الذكريات؛ لذا فقد كان أبرز ملامحها في التراث الخضوع للروح العام للفكر العربي، والمثالية الروحية، والحث على القدوة. (عبد الدايم، ص ص32–37، 1975م) أما ملامح السيرة الذاتية العربية الحديثة، فهي متميزة عن مثيلاتها في التراث سواء من حيث أساليب التعبير، وطبيعة التركيب الفني، بالإضافة إلى رغبة الكُتَّاب في الكشف عن الغاية من وراء تأليفها، أو إخفائها، والكشف عن أثر الوراثة والبيئة، وتصوير مرحلة الطفولة، والصدق والتجرد والصراحة، وتصوير الصراع، وتصوير فترات زمنية متفاوتة، ودلالة الأسلوب على شخصية كاتبه. (عبد الدايم، ص ص 108–156، 1975م)

وقد نجد بعض كُتَّاب السيرة يصرِّحون بدوافعهم، والبعض الآخر قد يتجاوز التصريح إلى التلميح، تاركًا للقارئ حرية التوقُّع، إلا أنَّ هناك قاسمًا مشتركًا بين هؤلاء وهؤلاء يعود إلى الرغبة في التنفيس عن الذات، ومشاركة المتلقي التجربة الذاتية. ومما لا شك فيه أن الرغبة في البقاء عبر الزمن هي المحفز الرئيسي لعملية الكتابة، فضلاً عن الدوافع الأخرى التي تتبع سيرورة الحكي في علاقتها بالزمن، وتسلس الخطاب، وعمليات الاستباق، والاسترجاع، والتضفير الزمني، والوقفات، والقفزات الزمنية، وانتقاء الأحداث، وبراعة الاستهلال، والمقطع الختامي.

ولقد جاءت مقدمة السيرة الذاتية "في ظلال الحياة" على قصرها، مصرحةً بدوافع الكتابة، فقد أراد مؤلفها أن يوثق رؤيته للحياة، ورحلته معها، وأن يخص تجربته في الحياة العلمية بالذكر، ويزيدها توضيحًا من وجهة نظره، فلم يبغ من وراء هذا العمل شيئًا سوى

أن يكون ذكرى لحلو الحياة ومُرِّها؛ لذا فقد أقدم على التعريف بنفسه للقارئ، وجاء التوقيع باسمه كاملاً في نهاية المقدمة، يعقبه ذكر المسمى الوظيفي، بوصفه أستاذ الأدب العربي بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة. (الغباري، ص3، 2024م)

تتشظى هذه الدوافع في نسيج الحكي؛ لتشكِّل العديد من الخطابات داخل النص، فجاءت السيرة مشتملة على الخطاب الديني، والتاريخي، والصوفي، والشعري، والثقافي، والتعليمي، والتوعوي، والنقدي؛ لوثيق المنجز الفكري للكاتب، وبيان منزلته بين أبناء جيله، وأثره في حركة التأريخ للأدب المصري.

سمات السيرة الذاتية الموسوعية:

على الرغم من أن فن السيرة قد ارتبط منذ نشأته بالتاريخ، فإنه مازال يتطور تبعًا لتغير السياقات الثقافية المصاحبة له، بما يسمح بتوالد أنواع أدبية جديدة، يمكن تبين ملامحها عبر ما تحمله من سمات مائزة؛ حيث يستمد التنظير دوره من خلال تحليل وقراءة النصوص؛ لذا تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الكشف سمات هذا النوع الجديد من أنواع السيرة الذاتية، الذي يمكن أن نطلق عليه "السيرة الموسوعية". ونعني بها تلك السيرة التي يقدم الكاتب من خلالها ثقافته الموسوعية، في نسيج ترجمته لحياته كما يراها.

يرتبط الخطاب الموسوعي بوظيفة مهمة من وظائف الخطاب، ألا وهي الوظيفة التثقيفية، بالإضافة إلى كونها خطابًا تاريخيًّا؛ فالحديث عن مصادر الثقافة يستدعي بالضرورة الكشف عن دوافع إنتاجها، والظروف والملابسات التاريخية وراء ظهورها؛ ومن ثم يستدعي الكاتب الوقائع التاريخية، والأعلام التاريخية، ويوظف شذراتها في الخطاب، وفق استراتيجيته للتخطيط؛ لبناء مقاصد، وتحقيق غاياته التواصلية. كما تشتمل السيرة الموسوعية أيضًا على جديلة الخطاب الاجتماعي، بوصفه خطابًا للبوح والتعبير عما يريد الكاتب أن يحكيه عن نفسه، بالكيفية التي يتغيا من ورائها بناء صورة ذهنية في مخيلة القارئ، يمكن أن نطلق عليها "الصورة الذهنية الخالدة"؛ حيثُ سيُكتب لها البقاء عبر

الزمن، وبتجدد العصور. ومن ثم، فجديلة الخطاب الاجتماعي في السيرة الموسوعية غالبًا ما تتشكَّل من عدة شذرات خطابية، لا تخضع للتسلسل الزمني، وتعتمد على تقنية القفزات الزمنية، والوقفات التي قد تطول، وقد تقصر، والاسترجاع مستخدمةً عبر الفلاش باك، والاستباق الزمني، والمونتاج السينمائي، وغيرها من التقنيات التي يعيد الكاتب بواسطتها تشكيل ملامح حياته الاجتماعية من منظور الحكي الاستعادي لذكريات الماضي؛ لذا التفت النقاد إلى أهمية التفرقة بين زمن وقوع الحدث، والزمن المسرود، والأزمنة الخارجية، والأزمنة الداخلية في عوالم الخطاب.

يتبع تعددية الخطاب في السيرة الموسوعية تنوعُ أسلوب الكتابة، فيمزج الكاتبُ بين الأسلوب الوصفي، والقصصي، والخبري، والتفسيري، والتعليلي، والتصويري، والتقريري، وهو ما يجعل قراءة السيرة مشوِّقة وممتعة في الوقت نفسه؛ فيثير هذا التنوع المستمر على مدار الحكي فضول المتلقي لمتابعة العمل، ويحفزه ذهنيًّا ووجدانيًّا لاستكمال عملية القراءة.

تعددية الخطابات في السيرة الموسوعية:

على الرغم من أن كُتَّاب السير سواء الذاتية أو الغيرية دائمًا ما يسعون إلى نقل تجاربهم المعيشية للمتلقي، محاولين رسم صورة ذهنية لواقع الحياة، فإن كل كاتب يخلق داخل بنية النوع عوالم خطابية مختلفة، تجعل نصه السيري مائزًا عن نصوص الآخرين. فمن السير الأخلاقية كانت السيرة النبوية التي تهدف إلى الكشف عن حياة الرسول (صلى الله عليه وسلّم) وتعاملاته، وأقواله، وأفعاله، من منظور القدوة الحسنة التي يجب الاقتداء بها، ثم توالى تأليف سير الأدباء والشعراء، والسير التاريخية، وغيرها من أنواع السير.

ولا يقتصر وجود فن السيرة على الأعمال النثرية فقط، بل يمكن أن نتلمسه أيضًا في الشعر، من مثل سيرة عنترة، وسيرة عمر بن أبي ربيعة، وسيرة الشعراء الصعاليك، وغيرها

من السير التي يمكن للدارس بناؤها عبر أشعار هؤلاء. وعلى هذا النحو يمكن تصنيف السير وفقًا لموضوعاتها، وشخصياتها. وتشير "تهاني عبد الفتاح" في دراستها للسير الأدبية إلى مرونة ذلك الجنس الأدبي، "وضعف الحدود الفاصلة بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى؛ مما يجعله قادرًا على التجول بداخلها بحرية." (عبد الفتاح، ص9، 2002م)

وسيرة "في ظلال الحياة" تعدُّ من السير الموسوعية متعددة الخطابات؛ فهي تشتمل على الخطاب التعليمي، والخطاب التاريخي، والخطاب الأدبي، والخطاب التثقيفي، والخطاب الصوفي، والخطاب التوعوي، والخطاب النقدي، وكلٌّ من هذه الخطابات يؤدي وظائفه التواصلية في نص السيرة.

الخطاب التعليمي:

لقد وسمت ثقافة الكاتب، وتخصصه في الأدب المصري الخطاب بسمات خاصة، جعلته مزيجًا من الحكي الذاتي، والتوثيق الأكاديمي لإنتاجه الثقافي، حاملاً العديد من الوظائف التواصلية. وبذلك يعد الخطاب التعليمي جوهرًا أساسيًّا في صناعة الذات، سجَّل فيه الكاتب عناوين كتبه، وأبحاثه، ومقالاته، ومحاضراته، وحرص في المقاطع الوصفية على تقديم مختارات مكثَّفة وعميقة لها، موضحًا أهميتها للقارئ المتخصِّص، والقارئ المثقَّف بشكل عام؛ وجعلها وثيقة تاريخية، وأرشيفًا في سجل المكتبة العربية على مر العصور.

وقد أشار الكاتب في خطابه التعليمي إلى أهمية المُعلِّم، ودوره في العملية التعليمية، وتأثيره على الطلاب من خلال تقديم صورة ذهنية للمعلم القدوة، فالمعلم يؤدي دورًا مزدوجًا في حياة طلابه، فهو يساعدهم في عملية التعلم، واكتساب العلوم والمعارف، كما يقوم بدور التوجيه والتوعية والتهذيب بوصفه أبًا روحيًا؛ فأكَّد الكاتب على أن معاملة المُعلِّم لطلابه، خاصةً في مرحلة الصغر تترك أثرًا لا يُمحى رغم مرور الوقت، وقد

تستمر الصداقة بين المعلم وتلامذته عبر الأزمان، ولا يستطيع الطالب أن ينسى مكافأة المُعلم له على نبوغه وتفوقه، والهدايا الرمزية التي منحه إياها. ويستمر دور المُعلم في حياة تلامذته الذين يتخذونه قدوةً لهم. وهكذا يحكي الكاتب عن أساتذته في المرحلة الابتدائية، وحتى مرحلتي الماجستير والدكتوراه، فكان أساتذته نعم الآباء والمُعلمون، مرشدين تلاميذهم، أو أبناءهم من الطلاب إلى مصادر العلم، فإذا ما اطمئنوا لما وصلوا إليه من علم، بعد حصولهم على درجة الدكتوراة، سعدوا بجوارهم أساتذة يدرِّسون معهم، وهكذا كان شأن كاتبنا في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة.

الخطاب التثقيفي

حولت السيرة الأدبية الخطاب التعليمي من الخاص إلى العام، عبر ما تضمنه من تناصات مع مؤلفات الآخرين، فقد حفل الحكي بالتناص مع العديد من عناوين القصائد، والدواوين، والكتب، والموسوعات، والتراجم لأعلام الثقافة المصرية في شتى مجالات العلوم والآداب، والفكر والثقافة بشكل عام في المجتمع المصري، وجاءت مقاطع عديدة من الوصف كاشفةً عن سمات الهوية والشخصية المصرية. وقد أفادت الكاتب ثقافته، واطلاعه على كتب المختصرات والتراجم والأعلام والطبقات في التراث العربي، فقدم العديد من عروض الكتب التي لم تقتصر على حقل الأدب فقط، وإنما تجاوزته إلى مصادر الفكر والثقافة في حقول المعرفة المختلفة؛ بغية إظهار سمات الشخصية المصرية، ومن ثم كانت الوظيفة التثقيفية أبرز الوظائف التواصلية في خطاب السيرة. من خلال ما قدمه الكاتب من عرض لمؤلفاته، ومؤلفات غيره من أعلام المصريين.

ولقد مثَّلت نشأة المؤلف حجر الأساس في تكوينه العلمي، وربما يرجع إليها سر نبوغه أيضًا؛ فقد تلقى تعليمه قبل المرحلة المدرسية في الكُتّاب، مشيرًا إلى دور "الكتاتيب المصرية" في التعليم، فلم يكن دورها يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم فقط، وإنما كان لها دور أعمق في تهيئة اللسان العربي، وتحفيز الذاكرة، وتعلم قواعد اللغة العربية من

خلال النموذج القدوة لغة القرآن الكريم، وتعلم أساليب البيان، والصور الخيالية، وشحذ النفوس من الصغر على التفكر في الكون، والتقرب إلى الله، والابتعاد عن المعصية، فقد كان للكتاتيب أدوار عديدة تخدم الأسرة، والمجتمع. وبعد دور الكتاتيب يأتي دور المدرسة، ومما لا شك فيه أن الصغار يكونون أشد تعلقًا بمدرسي المرحلة الابتدائية؛ لأنهم يمثلون الصورة الأخرى للأباء في منازلهم، وياحبذا لو أنهم حببوا طلابهم في القراءة وحب العلم، مثلما وصف صاحب السيرة أساتذته في المرحلة الابتدائية.

الخطاب التوعوي

الأنشطة المدرسية ومسابقات الوعي القومي

تضمن خطاب السيرة التوعية بدور الأنشطة المدرسية، ومسابقات الوعي القومي بوصفها "مصدر إلهام وخلق وإبداع وتفريغ الطاقة، سواء في حصة الموسيقى، أو مسرح المدرسة الذي تقام عليه العروض السنوية، خاصة عند الاحتفال بعيد الأم، أو حجرة الرسم، أو حصة الألعاب، أو النشاط الزراعي، أو الورش، أو التدبير المنزلي، وغيرها من الأنشطة التي يختار منها الطلاب ما يلائم ميولهم، لقد كانت أشبه بالمشروعات الصغيرة التي يمكن للطالب أن ينمّيها في المستقبل، فتدر عليه ربحًا ماديًّا، سواء من أعمال التريكو والغزل والنسيج وشغل الإبرة، أو إنتاج المأكولات والألبان، وصنوف المربى في حصص التربية الزراعية، أو تنمية مهارات العزف على الآلات الموسيقية من بيانو أو أورج، أو أوكورديون، أو تنمية اللياقة البدنية في مباريات كرة القدم، وغيرها من الأنشطة التي تحرِّك الذهن كما تحرِّك البدن، فضلًا عن المسابقات الدورية التي كانت تعقد بين المدارس على مستوى الجمهورية، في كافة المعلومات." (الغباري، ص9 ،2024م)

دور المؤسسات الثقافية والأفراد

أشار الكاتب إلى دور المؤسسات الثقافية في تنمية الوعي، فذكر أنَّ "لها دورًا كبيرًا في توجيه الحياة الفكرية والثقافية والأدبية والفنية في مصر نحو التناغم والتوافق من أجل

السعي إلى منظومة تُعلي من شأن كل جميل نافع." (الغباري، ص126، 2024م) وأكَّد الكاتب على دور الأفراد في تحمل المسئولية، ومعالجة السلبيات، وعدم الركون إلى "الصراع والخلاف الذي يؤدي إلى استفحال السلبيات التي نراها على الصعيد العلمي والثقافي والفكري وغيره، وعلينا أن نزرع في النفوس الانفلات من القبح والتردي بتشجيع كتاب جميل، والعمل على نشره، وتوسيع مدى التشجيع والدعم للمفكرين والمبدعين، والتخفيف ما أمكن من عشوائية الفن والفكر والحياة. ولا يكون هذا العالم المنشود الذي نتمناه جاهزًا بمجرد الكلام، بل يكون إن شاء الله بالبناء المستمر يومًا بعد يوم؛ لكي تنقشع هذه السلبيات التي تعطل مسيرتنا نحو عالم أفضل." (الغباري، ص127، 2024م)

التغذية الروحية والتثقيف

كما تضمن الخطاب التوعوي الإشارة إلى أهمية "حصص التربية الدينية، وتعلم الوضوء، والصلاة في مسجد المدرسة، فضلاً عن دور المكتبة. والإذاعة المدرسية في طابور الصباح تجمع بين الثقافة والفن والأدب، والرحلات وأهميتها في تنمية الوعي والإحساس بالهوية، فكانت الرحلات لمعرفة التاريخ، وما صنعه الآباء والأجداد، وزيارة القلعة، والمتاحف، ومدينة المحلة الكبرى، ومصانع الغزل والنسيج." (الغباري، ص9، 2024م)

ونوَّه الكاتب إلى دور الإعلام "في إثراء الخيال من خلال الإذاعة، حيث كانت المصدر الوحيد للإعلام قبل انتشار التليفزيون، وكانت الأسر المصرية على اختلاف طبقاتها تستفتح يومها بالاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، ثم نشرة الأخبار، وما يليها من برامج ثقافية، ومسلسلات، وأشهرها مسلسل ألف ليلة وليلة الذي ارتبط بشهر رمضان الكريم." وكان أيضًا لوزارة الثقافة دور كبير في عملية التثقيف والتوعية المجتمعية، فقد كانت "تحرص على وجود هذه القوافل السينمائية في طول مصر وعرضها لتوعية

المصريين ثقافيًّا وفنيًّا واجتماعيًّا. وكانت هذه التوعية تتمثل في فيلم تسجيلي قصير يسبق الفيلم الرئيسي، وكان عن التحذير من السلوكيات الخاطئة، والاهتمام بالصحة، وغيرها." (الغباري، ص24، 2024م) و"كانت الثقافة تطور تأدية رسالة تنمية وعي المجتمع المصري والاهتمام بنشر الكتب مثل سلسلة "الألف كتاب". وكانت السينما والمسرح والإذاعة مثارًا للفائدة والمتعة، وكان هناك اهتمام برقي الموسيقى والغناء." (الغباري، ص33، 2024م)

أما الجامعة فلها دور كبير في عملية التثقيف والتوعية، وفي ذلك يشير الكاتب لدور الأساتذة في اجتذاب الطلاب المتفوقين إلى أنشطة تُنمّي مهاراتهم في البحث الأدبي والإبداعي، وإقامة معارض في الأنشطة المختلفة، والاحتفاليات السنوية الكبرى في ساحة جامعة القاهرة، وورش الأنشطة بها، والرحلات العلمية والترفيهية، كالرحلة إلى مكتبة الإسكندرية، وزيارة القلعة والمتحف البحري، وغيرها من الأماكن." (الغباري، ص68، 2024م)

الخطاب التاريخي وتقديم الخاص في إطار العام

يمثل وجود الخطاب التاريخي جزءًا جوهريًّا من بناء الذات (الأنا) بوصفها جزءًا من المجتمع (النحن). فالسيرة الذاتية قصة استعادية للماضي سواء على مستوى الذات، أو التاريخ. ولعل العديد من المقاصد تقف وراء اشتمال السيرة على وقائع تاريخية، كاتخاذ العبرة، أو الاقتداء بالمذكور، "فالتاريخ وإن كان أحداثًا أو وقائع غبرت إلا أن غايته هي جلاء الحاضر والكشف عن حقيقته." (النجار، ص12، 1964م)؛ لذا فالكاتب يعود للتاريخ إمَّا واصفًا، أو ساردًا، أو ناقدًا، أو فيلسوفًا، أو معللاً في مواضع مختلفة من الحكي.

لقد لجأت السيرة إلى تقنية تقديم الأحداث الذاتية التي مر بها الكاتب عبر مراحل حياته، من خلال سرد الأحداث التاريخية الكبرى في تاريخ مصر، وبذلك استطاع تضفير

التأريخ الخاص بالعام، وتحويل المحطات الفاصلة في حياته إلى وحدات سردية كبري؛ مما أسهم في تكثيف الحكي مع الوقفات الزمنية، وعدم الافتقار إلى سرد مزيد من التفاصيل.

تضمن الحكي استدعاء بعض الأحداث التاريخية المهمة التي مرت بها مصر، والحروب التي خاضتها ضد الاستعمار، فكان الحديث عن نكسة 1967، والانتصار العظيم في حرب السادس من أكتوبر عام 1973، كما تضمنت السيرة الحديث عن الثورات التي قام بها المصريون في وجه المستعمر، مثل ثورة عرابي عام 1919، بالإضافة إلى العديد من مواضع الحكي التي تؤكد عبر التكرار موقف مصر القوي في مساندة القضية الفلسطينية.

ومن الأحداث التاريخية التي مرت بها مصر، ورصدتها السيرة، حرب الاستنزاف التي كانت ردًّا قويًّا من جيش مصر على إسرائيل، وقد تكبد العدو أثناءها خسائر فادحة، وذلك بعد نكسة يونيو 1967م، وحدث جلل آخر، هو وفاة الرئيس القائد الزعيم "جمال عبد الناصر" سنة 1970م، حيث خرجت جموع الشعب العربي في جنازته. كما رصدت الرواية التحولات الاجتماعية في مصر بعد نصر السادس من أكتوبر، العاشر من رمضان بقيادة الرئيس "محمد أنور السادات" عام 1973م، واقتحام خط "بارليف" الذي كان أقوى مانع مائي يفصل بين مصر وإسرائيل على قناة السويس، وحقق جيشنا نصرًا تاريخيًّا، ومن قبله استطاعت قوات البحرية المصرية إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" في بورسعيد، وكانت ضربة قاصمة لإسرائيل. وقد وظَّف الكاتب تلك الأحداث التاريخية الكبرى التي مرت بها مصر؛ للدلالة على قوة مصر وعظمتها، وانتصاراتها عبر التاريخ في مواجهة العدو المستعمر؛ إظهارًا للهوية المصرية، وانتماء شعبها.

واستدل الكاتب على تأكيد تلك الهوية في الأزمان البعيدة منذ الحروب الصليبية، عندما حسم جند مصر "تاريخ العروبة والإسلام الذي كاد الصليبيون يمحونه لولا نصر

"صلاح الدين الأيوبي" عليهم في "حطين"، بفضل جند مصر، ونصر الله والفتح، وكذلك في دحرهم للتتار في موقعة عين جالوت." (الغباري، ص107، 2024م) كما أكَّد الكاتب على همجية المستعمر ومقاصده في محو تلك الهوية، ودور العلماء المصريين في مقاومة تلك المقاصد، ذاكرًا أن مصر قد استردت "بغداد عام 1658هـ بعد سنتين من سقوطها على يد التتار سنة 1656، وعوَّض علماؤها ضياع كنوز التراث العربي، وذخائره الموسوعية النادرة في بغداد، وكان التتار قد استخدموها بهمجية معابرَ لخيولهم على نهري دجلة والفرات، فأخذ العلماء في تأليف الموسوعات الكبرى، مثل "لسان العرب" لابن منظور، و"نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، وغير ذلك من الموسوعات التاريخية، وأبرزها "خطط المقريزي"، والجغرافية، وأهمها "المسالك والممالك" لابن فضل الله العمري." (الغباري، ص107، 108، 109، 2024م)

واستمر الكاتب في مزج ملامح سيرته الذاتية بالتاريخ العام، مؤكدًا فكرة الهوية والعروبة، ودور مصر مع أشقائها في فلسطين والعراق والكويت وسوريا والسودان، بقوله: "واكب مرحلة الدكتوراة غزو العراق للكويت، وكان حدثًا مؤسفًا، وفخًا أوقعنا فيه أعداء العروبة الذين يعملون على شق الصف العربي لكي يسهل ضربه من داخله، والاستيلاء على مقدراته وثرواته. استقبلنا أشقاءنا من الكويت في مصر، وكان جندنا في طليعة الصفوف لتحرير بلادهم. كما كانت مصر الوطن الذي يستقبل الإخوة العرب في شدائدهم من فلسطين والعراق وسوريا والسودان وغيرها من البلاد العربية. وموقف مصر من القضية الفلسطينية لا مزايدة عليه، فأبناء مصر قد ضحوا بحياتهم بالدم لا بالشعارات من أجل فلسطين. خاضت مصر معارك 1948، 1956، 1967، 1973 من أجل نصرة فلسطين وكرامة مصر، وعزة العرب. ولا تزال تجاهد في سبيل نصرة شعب فلسطين الذي استشهد مواطنوه في غزة، وأصيبوا بأعداد كبيرة بعد أحداث السابع من أكتوبر 2023. وتعرضت غزة لأبشع إبادة جماعية من العدو المحتل بمعاونة أمريكا والغرب ضد مواثيق

المؤسسات العالمية وقيم الحياة الإنسانية. وقد بلغ الظلم على شعب فلسطين مداه، وثار بعض أبنائه على ما واجهوه من اغتصاب للأرض وقتل للفلسطينيين وسجن لهم، وانتهاك المسجد الأقصى." (الغباري، ص75، 2024م)

وقد تكررت إشارة الكاتب في مواضع كثيرة من الحكي إلى تأكيد موقف مصر ودعمها للقضية الفلسطينية ، فعندما هجم الفلسطينيون على العدو في عقر وكره المحتل "يوم 7 أكتوبر 2023، وأذاقوه بعض ما جنت يداه الملوثتان بالدم، وكان عاقبة ذلك ما شهده العالم من تدمير شامل للبنية التحتية في غزة، وقتل أبنائها، وتهجير ما بقى منهم، حيث لا مأوى ولا سكن ولا طعام ولا شراب، على مرأى ومسمع من العالم، ونسبته زورًا وبهتانًا إلى العرب والإسلام، وكانت مصر أكبر دولة عربية راح أبناؤها شهداء هذا الإرهاب المزروع فيها، خاصة في "سيناء" التي تحررت من ذلك الإرهاب بفضل شهدائنا من جند مصر الذين فدوا وطنهم بدمائهم، كما ضحى جندها بآلاف الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل القضية الفلسطينية والكرامة العربية في أربعة حروب." (الغباري، ص76، 2024م)

الخطاب الاجتماعي وأدب الواقعية:

<u>البيئة وأثرها على الشخصية:</u>

من أكثر الأشياء التي تؤثر في مشاعر الإنسان ووجدانه الأماكن التي عاش فيها، أو مرَّ بها في صغره، فهي تنطبع في ذاكرته إلى مالا نهاية، خاصةً إذا ارتبطت بوقائع معينة، أو عادات كان يمارسها؛ لذا فقد كان تأمل الكاتب شاطئ مدينة "بلطيم" مسقط رأسه وقت الغروب، والاستمتاع بجمال الطبيعة، من أكبر الدوافع نحو تأليفه أول دراسة له عن "شعر الطبيعة في الأدب المصري".

المشروعات الكبرى وإصلاح المجتمع:

أشار الكاتب في سيرته إلى بعض القوانين التي أصدرتها الدولة المصرية بغرض إصلاح التعليم، وكان أهمها مجانية التعليم وإرسال البعثات للخارج، ووصف هذه القوانين بأنها بمثابة "الأسس التي لا تقوم دعائم المجتمع إلا بها، من تلك القوانين، ذلك القانون الذي صدر بإلزام المصريين، إجباريًّا، بإلحاق أولادهم بالمدارس." (الغباري، ص7، 2024م) فضلاً عن مجانية التعليم التي أتاحت التعليم لأبناء الفقراء، وإرسال البعثات إلى الخارج، والانفتاح على العالم في شتى العلوم والصناعات لصالح المواطن المصري. والاهتمام بتطوير الصناعة والإنتاج، فكان إنتاج سيارة نصر، والأجهزة الكهربائية للمصانع الحربية، وإقامة المشروعات الكبرى في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، من مثل السد العالي في أسوان الذي حمى مصر من الغرق، والمجاعة جرَّاء فيضان النيل، والاهتمام بالفلاح المصري مؤسس الحضارة الإنسانية على مر التاريخ، وتمليكه الأرض الزراعية بعد ثورة 23 يوليو عام 1952م، و"إقامة دولة مصرية حديثة عصرية تعتمد على سواعد أبنائها المخلصين في نهضة العلم، وتأسيس قواعد الصناعة، واستثمار موقع مصر بنيلها الخالد وسط العالم بمجراها الحيوي متمثلاً في قناة السويس التي استردها جمال عبد الناصر من الاحتلال الفرنسي والإنجليزي الذي تحالفت إسرائيل معه للعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956، ولا تزال مصر مهددة من هذه القوى المعادية لها، وقد تولى أمرها الرئيس البطل "عبد الفتاح السيسي" الذي حمل على عاتقه العمل الدءوب على خير مصر ونمائها وحمايتها، بعون الله ونصرته لجيش مصر المحروسة، والحفاظ على كرامة شعبها، وتحقيق الحلم في استقرارها ورخائها." (الغباري، ص21، 22، 2024م)

أشهر المأكولات المصرية والمشروبات:

قدَّم الكاتب سيرته من منطلق أن مفهوم "الثقافة" مفهوم متَّسع يشمل العلوم والمعارف، والقيم، والعادات والتقاليد، والأعياد والمناسبات، ونظام المعيشة من مأكل

ومشرب، وملبس؛ لذلك حاول تقديم هذه الرؤية للمتلقي، متحدثًا عن شهر رمضان، والأجواء الرمضانية، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وأشهر المأكولات والمشروبات، وعادات الأسر المصرية في صنع الطعام، والحلوى، فقد كانت عادة الأسرة المصرية أن "تصنع الطعام، والحلوى، خاصة في المناسبات العامة، حيث يلتف أفراد الأسرة كبارًا وصغارًا في دفء عائلي يصنعون صنوف الكعك والبسكويت في العيد، أو تصنع الأم الكنافة بالسمن والسكر، أو تقوم بعمل المشروبات الرمضانية، وتقديم يا ميش رمضان، كما تصنع الأم بعض الأطعمة، مثل صيادية السمك، وهي أكلة مشهورة في المدن الساحلية، أو المدفونة حيث يدفن سمك الثعابين في الأرز، بينما يحمل رب الأسرة الفاكهة وهو عائد إلى المنزل، ويتسارع الصغار في استقباله، وحملها عنه." (الغباري، ص13، 2024م)

ويرسم الكاتب صورة البيت المصري القديم، حيث كان "أهم ما يميز البيت المصري القديم، وجود ذلك الفرن الذي يخبز فيه كل ما لذ وطاب من أنواع الخبز والفطائر، فتنبعث معه رائحة الدفء والسعادة، أما تربية الطيور فوق أسطح المنازل، فقد كانت بمثابة المخزون الاستراتيجي السنوي من البيض واللحوم، فضلاً عن حجرة خزين البيت الأساسية، أو حجرة التموين، كل هذه الأشياء جعلت البركة تهيمن على بساطة العيش، وتعم السعادة وراحة البال."(الغباري، ص12، 2024م)

الروح المصرية:

أشار المؤلف إلى السمة الرئيسية التي تميز الشخصية المصرية، وهي حب "الفكاهة" فالمصريون يميلون إلى استخدام الفكاهة والنكت، موضحًا مدى تأثير تلك السمة على المصريين، وعليه أيضًا، فقد عايشها وكان مثالاً لها. "فالشخصية المصرية جادة في الجاد من الحياة، مكافحة صابرة عامرة منتجة. ولكنها لا تنسى نصيبها من الإقبال على الحياة أو التمتع بوسائلها البسيطة وروحها الساخرة التي تركن إلى الفكاهة معينًا على

مواجهة قسوة الحياة، والاستعانة بالنكتة للسخرية من أعبائها عن طريق المفارقة بين الجد والهزل." (الغباري، ص26، 2024م)

المكان والقيم التربوية:

احتلت القيم الاجتماعية التي يحظى بها المجتمع المصري مساحات عديدة من الحكي داخل السيرة. يبدأ غرس القيم في الإنسان منذ الطفولة، لذلك فما يذكره الكاتب عن تحية العلم التي يرددها طلاب المدرسة ثلاث مرات أثناء طابور الصباح هي تأكيد وتجديد لميثاق الانتماء وحب الوطن، فهم "يرددون القسم بالإخلاص للبلاد، والمحافظة عليها، وبذل الجهد لرفعة الوطن، والدفاع عنه ضد كل عدو، وأن يكونوا مثلاً صالحًا في أقوالهم، وفي أعمالهم، ويشهدون الله على ذلك. لم يكن ذلك القسم مجرد قول يردده الطلاب في المدارس، ولا يستغرق قوله بضع دقائق، وإنما كان غرسًا للقيم منذ الصغر، وتذكيرًا للنفس بها، وحفرًا لها في الوجدان." (الغباري، ص7، 2024م) كما يؤكد الكاتب على قيمة مهمة من قيم تربية النشأ، وهي قيمة العمل، خاصة في إجازة الصيف التي لا تستغرق سوى ثلاثة أشهر، تأكيدًا على معنى الاعتماد على النفس، وتخفيفًا عن كاهل الأسرة المثقلة بأعباء الحياة.

وتتمثل قيم الوفاء في إطلاق أسماء الشهداء على المدارس؛ لتكون شاهدًا على قصص البطولات والتضحيات التي قاموا بها فداءً للوطن، وكذلك من خلال الاحتفالات بالأعياد القومية، مثل احتفال محافظة كفر الشيخ بالانتصار على العدوان الثلاثي، أو تسمية جبل بمصيف بلطيم باسم "جبل عرابي"، وتسمية هذا المكان أيضًا بـ "طابية عرابي"، وهو قرب فنار مصيف "بلطيم"، ويشير الكاتب إلى ارتباط هذه التسمية بتصدي أحمد عرابي لهجمات قوات الاحتلال الإنجليزي. (الغباري، ص 19،20 2024م)

ذكريات المكان:

المقاطع الحكائية التي تصف الأماكن في هذه السيرة، تقدم للمتلقي مشاهد حية نابضة بالشعور، وتعكس لمحات مكثَّفة من فيض الذكريات تجاهها. فيقدم الكاتب "بلطيم"، بأنه ذلك المصيف المشهور الذي يعرفه الجميع باعتدال أسعاره، وقربه من مدينة القاهرة، فكان واحدًا من أكثر الأماكن ملاءمة للأسر المصرية المتوسطة. ولم يقتصر وصف سحر ذلك المصيف، على جماله الطبيعي البصري، وإنما قدَّم الكاتب له وصفًا ترويجيًّا للسياحة، فـ "جوه الساحر شفاء للمرضى، ومتعة للأصحاء؛ لارتفاع اليود به، وقلة رطوبته."(الغباري، ص6، 2024م)

كما أوضحت السيرة أثر نهر النيل في حياة الأدباء، وأشعارهم، فعرضت لحياة الفلاح البسيط، الذي "نستشف منه حياة المصريين في العادات والتقاليد والأفراح والمآتم، والصبر على المكروه، والإقبال على الحياة، مع التدين العميق. كذلك نستشف من الحياة المصرية حكمتها وفلسفتها من الأمثال الشعبية والحكايات والنوادر والأشعار والفكاهة التي تناقلناها من الريف المصري شمالًا وجنوبًا. وكانت الفكاهة التي يميل إليها المصريون تنفيسًا عن كروبهم وسعيًا إلى تحقيق التوازن النفسي، مما تجسد في معاناة الفلاح المصري من الظلم والظلام الذي وقع عليه في النظام العثماني البغيض، خاصة نظام السخرة، واستغلال الفلاح المصري للعمل الشاق بلا أجر. كما كانت الفكاهة رسالة تحمل في طياتها سعيًا إلى إصلاح أحوال الفلاح المصري، وهو عماد مصر. ومن المؤسف أن ذلك الفلاح كان يعاني من الفقر، وفرض الضرائب الباهظة عليه مع ذلك، وبخس حقه مع أنه كان مصدر الدخل الوحيد لمصر العثمانية. وإذا كان نهر النيل قد جاد على مصر بخيره، وتأسست حضارة مصر على رافده، فكذلك كان الفلاح المصري في عطائه وخيره الوفير وتجسيده لصورة مصر الحبيبة. (الغباري، ص155، 2024م)

الخطاب النقدي:

موقف النقاد من قضية الشعر الحر:

تعددت المداخل النقدية المتداخلة في نسيج الحكي، فاشتملت على مناقشة بعض القضايا النقدية، عرض لها الكاتب موضحًا رأيه فيها، كان منها موقف النقاد من قضية الشعر الحر، حيث أشار الكاتب إلى بعض مؤلفاته النقدية ككتاب "أطياف من الفكر والأدب"، وكتاب "دراسات نقدية". وقد ناقش قضية الشعر الحر "وما أثارته حديثًا من اختلافات حول القيمة الفنية لظواهره في قصيدة النثر والشعر المرسل وغير ذلك من شعر قائم على التفعيلة، وليس على وزن الشعر الفصيح وبحوره الشعرية المعروفة"، (الغباري، ص 159، 2024م) ذاكرًا أن الشعر الحر يتيح "لونًا من ألوان التجديد الموسيقي للشعر الذي لا يتخلى عن موسيقاه الخاصة، ولكن ذائقته لا تلبي توقع المتلقي له؛ لخروجه عن دائرة الشعر ودخوله في دائرة النثر بالنسبة للرافضين له. ويرى البعض أن التجريب والتجريد الحداثي لقصيدة النثر يكشف عن طاقات لغوية وصور شعرية متوهجة." (الغباري، ص159، 2024م)

النظرية النقدية في التراث العربي:

كما عرض الكاتب موقف النقاد من التراث، والاتهامات التي وجهت له، مناقشًا ومفندًا الآراء، فمن "النظريات الحديثة نجد إيهامًا كبيرًا من المتحمسين لها أن العرب لم يملكوا نظرية نقدية. وللعرب منظومتهم الفكرية والأدبية التي أفادت منها أوروبا قبل العصر الحديث. وعلينا أن نفيد من نظرياتهم الحديثة، كما أفادوا من نظرياتنا لقرون طويلة، كما فنَّدها "عباس محمود العقاد" في كتابه "أثر العرب في الحضارة الأوروبية". وعلينا أن نشيد بحضارتنا المصرية العربية الإسلامية في مراحلها المزدهرة، وأن نتحرى الأسباب التي تدفعنا إلى مسايرة الركب الحديث حال تأخرنا عنه." (الغباري، ص 126، 2024م)

دراسات نقدية:

اشتملت السيرة أيضًا على العديد من الدراسات النقدية التي عرض لها الكاتب، فكان منها دراسة بعنوان "الشرق والغرب في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز" للطهطاوي، وفي البلاغة المصرية قدَّم دراسة عن كتاب مهم لعلي بن خلف الكاتب بعنوان: "مواد البيان"، كما درس كتابًا مهما آخر في التراث العربي، وهو كتاب "الآداب" لجعفر بن شمس الخلافة، وتناول موضوعات أخرى مثل "الكتاب الرقمي، ما له وما عليه، وأسماء المصريين، ودلالاتها الاجتماعية والثقافية، ونصر أكتوبر المجيد عام 1973 بعد خمسين عامًا، وعالمية اللغة العربية بعد تخصيص يوم عالمي لها بعد هذا النصر العظيم." (الغباري، ص165، 2024م)

الخرائط الذهنية لمسارات النقد والإبداع:

يرتسم في ذهن الكاتب بعد رحلة عطاء علمية ونقدية خرائط ذهنية للنقد والإبداع، ينقلها للقارئ، راسمًا حدودها، وأبعادها، ومصادرها بشكل مكثف، فقد اشتملت السيرة على مقاطع كاملة يمكن جمعها في كتاب، يعدُّ مصدرًا أساسيًّا من مصادر أدب مصر الإسلامية مشتملاً على مقدمة شارحة تكشف عن طبيعة النفس المصرية، ومدى حبها للفكاهة في مواجهة التحديات، ومدى جديتها في مواطن السعي والعمل، وإخلاصها وعمق هويتها المرتبط بالوطن.

لقد جاء نسيج السيرة لونًا أدبيًّا متفردًا من ألوان كتابة السيرة الذاتية، يستلهم طريقة طه حسين في سيرته "الأيام" و"حديث الأربعاء"، و"مستقبل الثقافة في مصر"؛ لينتج لنا لونًا فريدًا من ألوان السيرة الذاتية، له مرامي تتجاوز الحكي والبوح عن الذات، إلى إلقاء الضوء على أبعاد ثقافية وفكرية وروحية، تنقل للمتلقي خلاصة تجربة نقدية، ممزوجة بتجربة حياتية في الوقت نفسه؛ فخطاب السيرة مفعم بالآراء النقدية، وسير الأعلام من الكُتَّاب، والشعراء، وأعلام الثقافة، والفكر، والفن، والسياسة.

النقاد والأدباء في ميزان النقد:

حفلت السيرة بوضع العديد من الدراسات النقدية، وإبداعات الأدباء في ميزان النقد، فتوقف المؤلف عند تلك الأعمال، موضحًا رأيه النقدي فيها. على نحو ما كشف عن مكانة الشاعر "ابن سناء الملك"، ودوره الكبير في الحروب الصليبية، مشيرًا إلى أنه "شاعر مصري من أكبر شعراء العصر الأيوبي. "وهذا الشاعر كاشف عن شخصيته الأدبية المصرية، ودور مصر في تحقيق النصر على الصليبيين بمدائحه لصلاح الدين الأيوبي، وتصويره للنصر المبين على الصليبيين في حطين. وكان لهذا الشاعر دور كبير في وضع نظرية لموسيقى الموشح، وضبط أوزانه عروضيًّا، وكان ذلك عملاً رائدًا في إطار تجديد موسيقى الشعر العربي، وقد أبدع ابن سناء الملك في موشحاته التي لا تقل جمالًا عن الموشحات الأندلسية." (الغباري، ص109، 2024م)

ثقافة الكاتب ومصادر التناص:

اشتملت السيرة على العديد من مصادر التناص التي شكَّلت ثقافة الكاتب، فكان منها التناص الديني، والتناص الصوفي، والتناص الثقافي، والتناص الشعري.

التناص الديني:

يلجأ الكُتَّاب إلى ترصيع كتاباتهم، بالتناص مع القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف؛ لأغراض عدة تخضع لنوع الكتابة، وتتأثر بمقاصد المؤلفين وثقافتهم. وقد جاء التناص الديني في سيرة "في ظلال الحياة" في مواضع قليلة لأغراض ثلاثة. الأول هو التأكيد على قيمة العلم سواء في حياته، أو بعد مماته، ومنه التناص مع قول الرسول (ص): "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له." (الغباري، ص134، 2024م)؛ ولبيان جزاء من يغتر بعلمه، فيضل، ويضلل الناس، ويصرف الله عنه الحكمة والهداية، جاء التناص مع قوله تعالى: "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق"(الأعراف/146) (الغباري،

ص147، 2024م)، ولبيان بيان فضل السيوطي في تجديد الخطاب الإسلامي، ورد التناص مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها." (الغباري، ص103، 2024م)، وفي معرض الحديث عن أن الإنسان في عمله قد يخطئ، وقد يصيب، نجد التناص مع الحديث الشريف: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون."(الغباري، ص141، 2024م) وجميع هذه التناصات مرتبطة بالتأكيد على قيمة العلم والعمل. والغرض الثاني الذي استخدم فيه الكاتب التناص الديني، جاء مرتبطًا بالاعتزاز بالهوية المصرية، والتأكيد على أهمية مصر، وشجاعة جندها، من خلال استحضار حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول الكاتب: إن "أرض مصر أرض البطولات، وجندها هم خير أجناد الأرض؛ لأنهم، وأهلها، في رباط إلى يوم القيامة، كما أشار إلى ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم." (الغباري، ص20، 2024م). أما الغرض الأخير من أغراض التناص الديني، فقد كان للتعبير عن قيمة الفكاهة عند المصريين، واتخاذها وسيلة للمرح، ومواجهة صعوبات الحياة، استدلالاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "فيما معناه روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلَّت عميت." (الغباري، ص62، 2024م)

التناص الصوفي:

اشتمل خطاب السيرة على بعض إشارات التناص الصوفي، بصورة ضمنية أحيانًا، وبصورة صريحة مباشرة أحيانًا أخرى. فقد ألمح المؤلف إلى النشأة الصوفية التي تربي عليها في بيت أسرته، وأرجع أسباب تلك النشأة إلى والدته، بقوله: "كانت أمي–رحمها الله– من المتصوفات الصالحات، وقد علمتنا التوكل على الله، والعمل في مواجهة الحياة في مواكبة لروحانيات التصوف ودعائم الإيمان. وكانت حلقات الذكر تُقام في بيتنا المتواضع يغشاه الذاكرون لله من المتصوفة."(الغباري، ص5، 2024م)

واستمر هذا التأثير منذ مرحلة النشأة والتكوين، مصاحبًا للمؤلف طوال حياته، فنراه يقول: "كنت قبل الالتحاق بالجامعة أحضر مع المتصوفة على الطريقة الشاذلية لأبي الحسن الشاذلي في المساجد والزوايا لإقامة الحضرة وقراءة الأوراد الخاصة بالطريقة. وهذا من الأثر الصوفي الذي ورثته عن أمي رحمها الله. كان الورد استغفارًا وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وكنت أنشد أشعار الصوفية مع أصدقائي المنشدين في الحضرة، وكان من الأشعار التي ننشدها في الحضرة شعر "ابن الفارض" شاعر الحب الإلهي وسلطان العاشقين."(الغباري، ص27، 2024م)

التناص الشعري والإمتاع الجمالي:

تداخل الواقعي والمُتخيَّل:

لقد كان للتخصص الأكاديمي، وحافظة الكاتب، وحبه للأدب دور كبير في حضور التناص مع الشعر بصورة كبيرة في نص السيرة، فقد احتوى على العديد من الأبيات الشعرية لمختلف الشعراء القدامى والمحدثين في مصر؛ لطرافتها، فقدمت السيرة (59) بيتًا شعريًّا، من مقدمات القصائد، أو بعض المختارات الشعرية من مختلف الأغراض، كالغزل، والمدح، والرثاء، والفخر، والحكمة، والوصف وبصفة خاصة وصف الطبيعة؛ لحب الكاتب للطبيعة، ونهر النيل، وتأثره به. وقد قام التناص الشعري بوظيفتين أساسيتين في الخطاب، أولهما الوظيفة الجمالية المرتبطة بالطابع الأدبي، والأخرى هي الوظيفة النقدية القائمة على معايير اختيار تلك الأشعار، وتقديم الكاتب نبذة قصيرة عنها. فمن شعر الغزل، تناص الكاتب مع شعر "البهاء زهير" رائد المدرسة المصرية في قوله:

من اليوم تعارفنا	ونطوي ما جرى منا
ولا كان ولا صار	ولا قلتم ولا قلنا (الغباري، ص 164، 2024م)

ومن الشواهد النحوية الطريفة التي احتفظت بها ذاكرة الكاتب، قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها	قد بلغا في المجد غايتاها (الغباري، ص37، 2024م)

ومن شكوى الشعراء قول الشاعر:

يا دهر إنك مسقى بكأسهم	ووارد ذلك الحوض الذي وردوا
الخلق ماضون والأيام تتبعهم	نفنى ويبقى الإله الواحد الصمد (الغباري، ص39، 2024م)

ومن شعر الحكمة لـ "المثقب العبدي" قوله:

فإما أن تكون أخي بحق	فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني	عدوا أتقيك وتتقيني
وماذا تبتغي الشعراء مني	وقد جاوزت حد الأربعين (الغباري، ص39، 2024م)

ومن الشعر الذي أعجب به الرسول صلى الله عليه وسلم قول "لبيد":

ألا كل شيء ما خلا الله باطل	وكل نعيم لا محالة زائل (الغباري، ص40، 2024م)

ومن شعر "إيليا أبو ماضي" يخاطب البحر، قائلاً:

قد سألت البحر يومًا	هل أنا يا بحر منكا
هل صحيح ما رواه	بعضهم عني وعنكا
أم ترى ما زعموا	زورًا وبهتانًا وإفكا
ضحكت أمواجه مني	وقالت لست أدري (الغباري، ص50، 2024م)

ومن قول "عنترة" في الموت:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني	أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل	لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي	أني امرؤ سأموت إن لم أقتل (الغباري، ص52، 2024م)

ومن بُردة "البوصيري" رائد المديح النبوي، قوله:

أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم (الغباري، ص106، 2024م)

ومن نهج البردة لـ "أحمد شوقي" قوله:

ريم على القاع بين البان والعلم	أحل سفك دمي في الأشهر الحرم (الغباري، ص107، 2024م)

ومن شعر التصوف لـ "ذي النون المصري"، مؤسس التصوف الإسلامي الذي تغنى بمواجده الصوفية "ابن الفارض"؛ شاعر الحب الإلهي وسلطان العاشقين، قوله:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة	سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم (الغباري، ص107، 2024م)

ومن أزجال "الغباري":

في الناس رأينا للخير معادن	والدر يوجد في كنز مثله
إن رمت جوهر الشخص مكنون	فجوهر الشخص حسن فعله (الغباري، ص 119، 2024م)

وعلى هذا النحو استدعت ذاكرة الكاتب العديد من الأبيات الشعرية؛ لتضع ثقافته، ومصادرها آثارها في نسيج الحكي، وتصبغه بالطابع الجمالي.

التناص الثقافي:

انقسم التناص الثقافي في السيرة إلى نوعين أساسيين، النوع الأول هو **التناص الثقافي الخارجي**، والمقصود به استدعاء ثقافة الآخر في الحكي، عبر تقديم تراجم لأعلام الثقافة المصرية، وعروض نقدية لمصادر التراث المصري، أما النوع الآخر، **فهو التناص الثقافي الداخلي**، حيث يتناص الكاتب مع إنتاجه الفكري والثقافي، وما قدمه للمكتبة العربية من كتب، وأبحاث، ومقالات، ومحاضرات. وقد استطاع المؤلف من خلال ذلك تقديم رؤية بانورامية موسوعية؛ لذا جاء النص مزيجًا من السيرة الذاتية، والسيرة الغيرية.

التناص الثقافي الداخلي:

حاول الكاتب نقل فكره وثقافته إلى المتلقي، من خلال عمل عروض للمؤلفات التي قدمها بتكثيف شديد، ومناقشة بعض القضايا النقدية، موضحًا رأيه فيها.

عروض كتب المؤلف:

اشتملت السيرة على العديد من مؤلفات الكاتب التي تعكس ثقافته الموسوعية التي اختار أن يقدم للقارئ لمحات منها. فمن مؤلفاته كتاب بعنوان: "أعلام مصرية"، وقد

عرض فيه للعديد من تراجم الأعلام في مختلف المجالات الثقافية، فمن الشعراء المصريين، كان "أحمد شوقي" الذي جسد تاريخ مصر، وذائقتها الأدبية، وسماتها الحضارية في أشعاره الخالدة، وطنية ودينية، و"حافظ إبراهيم" وهو الشاعر المعبِّر عن صوت مصر في سعيها الدءوب إلى الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية في وقت أهدرت فيه هذه القيم تحت وطأة الاحتلال الإجنبي. كما كان من شعراء مصر الذين امتازوا بطابعهم الشعبي وروحهم المرحة "أبو حسين الجزار"، وهو يمثل ظاهرة في الأدب المصري، إذ كان من شعراء الحرف الذين أثروا في الأدب المصري بأسلوبهم السلس القريب من الوجدان العامي المصري، وقد أشار المؤلف إلى علاقة إبداع هؤلاء وغيرهم من أعلام الثقافة المصرية بالريف المصري الذي نبتوا فيه، فكان دورهم عظيمًا في التعبير عن التطلع إلى تقدم مصر ورخائها وتحررها من العبودية والاحتلال الذي ران على جنباتها في عصورها السالفة. كما اشتمل الكتاب على ترجمة للدعاة، من مثل "الشيخ محمد عبده" الذي دعا إلى تطوير التعليم، وإصلاح اللغة العربية وسيلة إلى تجديد الخطاب الديني. (الغباري، ص155، 2024م)

وأشار الكاتب إلى دور هؤلاء الأعلام في الإعلاء من شأن الوطن، فقد أضاءوا الطريق إلى الإبداع والفكر والفن والأدب وسيلة وغاية لصالح مصر والمصريين، مثل "عباس محمود العقاد"، و"إبراهيم عبد القادر المازني". وفي حقل الدراسات العربية والإسلامية نبغ علماء مثل "أمين الخولي" و"عائشة عبد الرحمن"؛ بنت الشاطئ، و"شوقي ضيف"، و"حسين نصار"، و"أحمد أمين، وقام غيرهم من المبدعين الكبار، مثل "نجيب محفوظ"، و"يحيى حقي" بدورهم الرائد في تقديم روائع أدبية امتعت العقل والقلب والوجدان، وكان لها أثرها الكبير في المجتمع المصري والعربي. (الغباري، ص156، 2024م)

وعرض المؤلف في كتابه "قطوف مصرية" أهم جوانب الشخصية المصرية من خلال دراسة الدور الرائد لعالم الآثار الشهير "سليم حسن"، وكشفه لكنوز الأدب المصري

القديم في كتابه القيم "الأدب المصري القديم". ولم يكن العصر الفاطمي مشهورًا بأدب التصوف، لكن "ابن الكيزاني" كان من شعراء التصوف في هذا العصر، مؤكدًا ميله إلى الذائقة المصرية التي لا تميل إلى الطابع الجدلي في العقيدة الفاطمية." (الغباري، ص157، 2024م) واختار المؤلف من القطوف المصرية موضوعات أخرى مثل الحب والمرأة في أدب "إبراهيم عبد القادر المازني"، ومرايا "يحيى حقي" في السيرة الذاتية، ثم قدم موضوعًا نادرًا يعد كتابًا صغيرًا عن الكنافة والقطايف في الأدب المصري. (الغباري، ص158، 2024م).

التناص الثقافي الخارجي:

يتميز هذا النوع من التناصات باستعراض مصادر ثقافة الكاتب في الأدب المصري، فضلاً عن دورها في تعريف القارئ بأمهات الكتب، والموسوعات في مختلف مجالات العلوم والفنون. وقد حفلت السيرة بالعديد من التقديمات الموجزة لتلك الأعمال، كاشفةً عن خصوصيتها، وإسهاماتها في إثراء المكتبة العربية.

تراجم الأعلام:

ترجمت السيرة للعديد من الأعلام في مختلف الثقافة والفكر والأدب، وهو ما جعل نص السيرة يتماهى مع تراجم الأعلام في التراث العربي. ومن هؤلاء ترجم الكاتب لـ "لسيوطي" مشيرًا إلى أنه قد تبنى قديمًا "الطابع الأدبي للمدرسة المصرية في البلاغة والنقد"، كما ترجم لـ "أمين الخولي" حديثًا في مناهج تجديده للبلاغة، كذلك أشار إلى تنوع اتجاه نقاد مصر من شُرَّاح الشعر مثل "أبي جعفر النحاس" وشرحه للمعلقات، وتميز "ابن ظافر" في تقديم جانب مهم فيما يتعلق بالشعر المرتجل في كتابه: "بدائع البدائة"، وفي عرضه لجماليات التشبيه في كتابه "بدائع التنبيهات على غرائب التشبيهات"، وعلى ذلك كان اهتمام النقد المصري بأثر الأدب جماليًّا في نفس المتلقي، ووسائل هذا الأثر في الوصول إلى هذا الهدف من خلال التطبيق على عيون الأدب العربي شعرًا ونثرًا.

كما أشار الكاتب إلى "ابن أبي الإصبع" المصري، ودراساته عن البديع، فقد قدَّم مفهومًا ثريًّا لجماليات أسلوب البديع، وركنًا من أركان البلاغة العربية في كتابيه" "بديع القرآن"، و"تحرير التحبير" اللذين يعدان امتدادًا أصيلاً لإنجاز"عبد القاهر الجرجاني" في كتابيه: "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز"، والنفاذ إلى جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وروعة الأدب العربي شعرً ونثرًا."(الغباري، ص67، 2024م) فضلاً عن "ابن سناء الملك"، وريادته في فن الموشحات، فقد "كان للموشح موسيقاه الخاصة غير أوزان الشعر العربي، فضبط ابن سناء الملك أوزانه، وكان رائدًا في ذلك، مهمًّا كأهمية الخليل في وضع عروض الشعر العربي. (الغباري، ص67، 2024م)

لقد اشتهرت الثقافة العربية منذ القدم بالترجمة للأعلام في مختلف التخصصات، من خلال سلاسل كتب التراجم، وكتب الطبقات، وكتب الأعلام، والمؤلفات الموسوعية، ويبدو أن ثقافة الأديب قد تأثرت بشكل كبير بذلك الإرث الثقافي، فقدم العديد من الترجمات لمختلف الشخصيات، منها ترجمة مكثفة لعالم جليل من علماء كلية العلوم بجامعة القاهرة، وهو الأستاذ الدكتور "محمد القصاص"، الملقَّب بـ "أبو البيئة"،كما قدَّم ترجمة لعميد الأدب العربي "طه حسين"، وتلميذه الأستاذ الدكتور "شوقي ضيف"، صاحب موسوعة "تاريخ الأدب العربي"، وغيرهم من مشاهير العلم والسياسة والفن والأدب والإعلام، مثل الزعيم "سعد زغلول"، زعيم ثورة 1919م ضد الاحتلال الإنجليزي، والشاعر الكبير "صالح الشرنوبي" رائد التجديد في الشعر الحديث، و"أحمد شوقي" عبقري الشعر الحديث، و"حافظ إبراهيم"، شاعر الشعب المصري البسيط، وهو من ظرفاء عصره. ومن القدماء قدَّم الكاتب ترجمة لـ "السيوطي" صاحب المؤلفات الموسوعية، و"الجاحظ"، الذي كان آية في البلاغة، وموسوعية التأليف، وظرف الشخصية، وتواضع العلماء الأدباء. (الغباري، ص42-43، 2024م)

ومن أعلام الأدب الفكاهي في مصر، قدَّم الكاتب ترجمة للشيخ "عبد العزيز البشري" الذي أتقن "الوصف الساخر الكاريكاتيري للأعلام المصريين في سائر الفنون والعلوم والسياسة والأدب."(الغباري، ص114، 2024م) ومن رواد التجديد عرضت السيرة ترجمة لـ "أمين الخولي"، و"مؤلفاته الرائدة في الأدب المصري. وقد كان مجددًا في دراسته بمنهج الإقليمية، وكان حديثًا في وقته على نظرية "تين" و"سانتبيف" و"برونتيير" من إقرار أثر البيئة في تشكيل الأدب بخصائصه الناتجة عن هذا الأثر. وللخولى كتاب مرجعي أصيل مؤثر في مناهج تجديده في الأدب، والبلاغة والنحو والتفسير." (الغباري، ص117، 2024م)

وفي جانب التصوف عرض الكاتب ترجمة لـ "الشيخ عبد الغني النابلسي"، "العالم الصوفي الكبير، وعنوان كتابه "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز". ويقول الكاتب "كانت هذه الرحلة للحج، مرورًا بمصر، وقد وصفها الشيخ "عبد الغني النابلسي" في جزء ضخم من الأجزاء الثلاثة التي اطلعت عليها مخطوطة. كان وصف مصر في هذه الرحلة غاية في الأهمية للاطلاع على أحوال مصر في أواخر العصر العثماني استشرافًا لنهضتها الحديثة. أشاد "النابلسي" الصوفي بروائع الأدب الصوفي في مصر، وكان أظهر الأدب المصري في العصر العثماني وإمامه "الشعراني". وصف "النابلسي" مساجد مصر، ومعاهدها الفنية بعبق التاريخ والروح المصرية، وشدا بأشعار في الطبيعة المصرية ومشاهدها الرائعة، خاصة نهر النيل. وتناول الأزهر الشريف، ودوره الديني المؤثر في العالم الإسلامي، وحفلت رحلته بمناظرات وأشعار ورسائل متبادلة مع علماء مصر في انفراجة تاريخية بعد أحلك فتراتها في مصر خلال العصر العثماني." (الغباري، ص118،119، 2024م)

أما النصيب الأكبر من التراجم، فقد كان لـ "السيوطي" الذي كان له أثره الواضح في التكوين الموسوعي لثقافة الكاتب، "فالسيوطي موسوعة ذلك العصر في مؤلفاته التي تعد

من المصادر المعرفية الأساسية حتى الآن. وهذه الموسوعات ممثِّلة للتداخل الثقافي، والتنوع المعرفي؛ لأن أصحابها كانوا يأخذون من كل علم بطرف على طريقة التأليف العربي بمفهومه الواسع الذي يجمع بين أنواع العلم وفنون الأدب وتعدد المعارف."(الغباري، ص109، 2024م) ألَّف "السيوطي" الكثير من "ذخائر الكتب المرجعية في علوم القرآن والحديث، وفي الدراسات اللغوية والأدبية، وفي التاريخ، وغير ذلك من فنون العلم." (الغباري، ص102، 2024م) وكان في موسوعيته بمصر في العصر المملوكي كـ "الجاحظ" في العصر العباسي. وكان مجددًا في عصره، وكتب عن المجددين كتابًا بعنوان: "التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة". (الغباري، ص103، 2024م) "ذلك أن "البديع" كان وسيلة وغاية لجماليات التعبير الأدبي في التراث المصري. وعلى ذلك تجلت في مقامات "السيوطي" أهم معالم الشخصية المصرية." (الغباري، ص104، 2024م)

وقد استطاع الكاتب من خلال جميع تلك التراجم أن يعرض وجهة نظره النقدية في أعمال هؤلاء. فمن تراجم الأعلام من الشعراء، ذكر أن شعر "صالح الشرنوبي" كان "رومانسيًّا رائعًا، أثَّر البحر والطبيعة الجميلة لمدينة بلطيم" التي نشأ فيها الشاعر، على توهجه الإبداعي في تصوير عواطفه من خلالها، كما ارتاد "صالح الشرنوبي" آفاق الشعر الحديث، وكان من رواد تجديده. وقد درس الكاتب ديوانه مؤكدًا خصوصيته الشعرية، وتعبيره عن ذاته في خيال جامح اتسم بإلهام الفن، وروعة الصور الشعرية وموسيقاها المتنوعة. كان شعره ترنيمة شوق إلى الحياة، وإحساسًا بالحزن لحرمانه من مباهجها في عنفوان شبابه، وقد تشرب الروح المصرية العربية الإسلامية في شعره. أشاد "الشرنوبي" بأعلام مصر في العلم والفن والأدب، وحفل شعره بالمديح النبوي، والتغني بجماليات اللغة العربية، وحضارة مصر على ضفاف النيل العظيم. وحظيت أشعار الغزل وجمال الطبيعة بأروع شعره. وفي القضية الفلسطينية يسود شعره جو حزين، لكنه مع ذلك يستنهض

الهمم. و"الشرنوبي" مثل لهؤلاء العظماء الذين مضوا دون أن يُلْتَفت إلى القدر الذي يستحقونه. (الغباري، ص 142-144، 2024م)

ومن الشخصيات التي فُتن بها الكاتب "الجاحظ"، فتأثر به على المستوى الأدبي والإنساني، وقد أدى به حب "الجاحظ" إلى دراسة كتاباته، وتأليف كتاب عنها، عنوانه "مع الجاحظ" في محاولة لارتياد بعض آفاقه النقدية والبلاغية والفكرية والأدبية. "فقد صاغ الجاحظ أسس الفن النثري في بلاغة أسلوب وعمق فكرة في كتبه الموسوعية التي زخرت بها المكتبة العربية. وكتاب "البيان والتبيين" دستور للبلاغة العربية، وتحليق في أبعادها الثقافية والحضارية. و"الجاحظ" رائد للتحليل النفسي في كتاب "البخلاء" الذين تعمق شخصياتهم، وعكس روحه المرحة في نوادرهم. وقد صحح كثيرًا من مفاهيم العلم عن الحيوان في كتابه الشهير الذي مزج فيه بين فنون العلم والفكر والفن والأدب خلال دراسته لطبائع الحيوان." (الغباري، ص 145، 2024م) كما توقف الكاتب بالدراسة والنقد عند رسائل "الجاحظ "، وأسلوبه، وفلسفته العميقة التي صور بها رؤيته للحياة، وكيف استطاع أن يوازن في كتاباته بين الجد والهزل. (الغباري، ص146، 2024م)

ببليوجرافيا الثقافة المصرية:

حفلت السيرة بتقديم ببليوجرافيا موجزة للعديد من مصادر الثقافة المصرية، في مجال الأدب والعلوم والفنون، فعرض المؤلف كتاب "ديوان الصبابة أو أخبار العشاق" لأبن أبي حجلة "، وهو ثلاثون بابًا في وصف أحوال الحب على طريقة "طوق الحمامة" لـ "ابن حزم"، مما ورد فيه من أشعار وأخبار عن الحب، وما ارتبط به من مشاعر إنسانية. كما عرض كتاب شيخ المحققين "عبد السلام هارون" وعنوانه "كناشة النوادر" والكناشة أي المذكرة. ويطوف هذا الكتاب حول المصادر العربية المتنوعة وما أورده منها في تتبع تاريخي ثقافي حضاري. كما عرضت السيرة كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان

التوحيدي؛ أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء، و"قصة حي بن يقظان" لـ "ابن طفيل". وغيرها من المؤلفات. (الغباري، ص 164، 2024م)

سير المكان:

اشتهرت الكتابة عن البلدان، وتاريخها، ووصفها في التراث العربي، ووضعت الكتب التي تصفها ومنها كتاب "تاريخ بغداد"، لـ "الخطيب البغدادي"، و"نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" لـ "المقري"، و"معجم البلدان" لـ "ياقوت الحموي"، فضلاً عمَّا احتوته كتب أدب الرحلات من وصف المدن والأماكن. وقد استطاع الكاتب استلهام تلك التقنية من أدب الرحلات، فجاءت سيرته حافلة بوصف الأماكن والمدن والبلاد التي عاش فيها، أو مرَّ بها.

الأزهر الشريف:

للأزهر الشريف مكانة كبيرة في نفوس المصريين، وفي العالم العربي أجمع، وقد حرص الكاتب على وصفه وبيان دوره الحضاري، بأنه "أقدم جامع وجامعة، وروعة تاريخه، والدور الكبير لعلمائه في نشر الفكر الإسلامي الوسطي السمح المعتدل المستنير، مما تتميز به الشخصية المصرية في اعتدالها الديني." (الغباري، ص 65، 2024م) كما نوه الكاتب بالدور الثقافي الذي تؤديه مكتبات الأزهر، حيث تمثل "جامعة كبرى مذكِّرة بدار الكتب أو دار العلم في مصر في العصر الفاطمي." (الغباري، ص65، 2024م) ومنها مكتبة دار العلم "أكبر مكتبة في عصرها، وقد وصفها مؤرخ مصر الموسوعي- الذي يقارب ابن خلدون، مؤسس علم التاريخ في أهميته- وهو "المقريزي" وصفًا تاريخيًّا وثائقيًّا مهمًّا في موسوعته الشهيرة: "خطط المقريزي". (الغباري، ص2024،65م)

بلطيم:

مسقط رأس الكاتب، مدينة "بلطيم" الساحلية، بها أماكن كثيرة مشهورة، مثل حلقة السمك التي يصفها الكاتب بأنها "المكان الأول الذي يشغل اهتمام أهل مدينتنا الساحلية، يتوافدون عليه في كل الأوقات، ومعلم آخر من معالم المكان في "بلطيم" يتمثل في وكالات الخضر والفاكهة، إذ يعمل جانب من سكان بلطيم بالزراعة. كما يعمل جانب آخر بالصيد من "بحيرة البرلس"، وهي من أهم معالم "بلطيم"، وثاني أكبر بحيرة في مصر، تلتقي بالبحر عند "بوغاز البرلس" في قرية تُسمى "البرج" التي أصبحت مدينة الآن. وبجوار هذا البوغاز يحترف أهل البرلس صناعة السفن، وتبحر هذه السفن في رحلات صيد طويلة أو قصيرة، محلية أو دولية. ومن أهم معالم شاطئ مصيف بلطيم "الفنار" الأثري المميز قبل بناء آخر حديث." (الغباري، ص13، 2024م) وعلى الجانب الآخر تكثر أشجار التين والعنب، وتزرع أراضي البلدة بأنواع جيدة من البطيخ والشمام. وكان هذا المصيف ملتقى للعائلات، ومشاهير الفن، وعلى سبيل التوثيق، فقد تم تصوير فيلم "لحن الخلود" لفريد الأطرش وفاتن حمامة في ذلك المصيف. (الغباري، ص14، 2024م).

القاهرة:

بعد أن التحق الكاتب بقسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة، انتقل للعيش في القاهرة، ولا شك أن المدينة الجامعية، وذكرياتها، قد احتلت مكانة كبيرة في حكيه عنها وعن شوارع القاهرة، والأماكن القريبة من جامعة القاهرة، والأزهر الشريف، ومكتباته، ومشيخة الأزهر، وجامعة الأزهر، والحسين، والسيدة زينب والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة، ودار الكتب، والهيئة المصرية للكتاب، والمجلس الأعلى للثقافة، ومكتبة القاهرة، ومكتبة مصر، وغيرها من الأماكن التي كان كاتبنا يتردد عليها لتكوين زاده الروحي، وحصيلته المعرفية. ويميل الكاتب إلى وصف تلك الأماكن وصفًا تفصيليًّا،

فيقول عن منطقة "الحسين": "في المشهد الحسيني معالم تاريخية، أهمها "قهوة الفيشاوي" والشاي بالنعناع الأخضر، وجلسات مع الأحبة والأصدقاء. وفي الحسين كبابجي "الدهان" الشهير. وفي مواجهة "مسجد الحسين" محل ألبان شهير بالمهلبية وأم علي، وغير ذلك، وكان من أحب الأماكن رغم ازدحامه.. أما "مولد الحسين" فهو أهم حدث في كل عام." (الغباري، ص64، 2024م)

اليابان:

انتقل الكاتب للعمل في جامعة أوساكا للدراسات الأجنبية، واصطحب معه زوجته وأبناءه. وفي هذه الأثناء استرجع الكاتب ذكرياته عن الطبيعة الساحرة للمدن اليابانية، وطبائع شعبها، قائلاً: "انتقلت إلى اليابان كأني في عالم خيالي بسحر طبيعته، وأدب شعبه، وتقديسهم للعمل، واحترامهم للكبير، واحتفائهم بالصغير. وانبهرت بنعومة الطريق.. ولاحظت حرص اليابانيين على النظافة العامة في الشوارع والحدائق وكل مكان عام." (الغباري، ص79، 2024م)، وتحدث الكاتب عن تردده على المساجد، خاصة "مسجد كوبى" في المناسبات المختلفة، في شهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وركوب التليفريك، والاستمتاع بمشاهدة الغابات، ومتحف أوساكا للحضارات الإنسانية، وقلعة أوساكا، وحديقة الحيوان، وشلالات مينو، والمتحف البحري، والرحلات إلى "طوكيو"، وكيوتو" العاصمة الثقافية التاريخية لليابان، ومشاهدة الكرنفالات والاحتفالات التقليدية المبهجة، والانبهار باليابان، قلعة الصناعة والابتكار، حيث يتغير فيها الحديث من الصناعة إلى الأحدث في سرعة البرق. (الغباري، ص88، 2024م)

تناص السيرة الأدبية مع السيرة الأكاديمية:

ضمت السيرة الكثير من الإنتاج النقدي للكاتب، فأشار الكاتب إلى كتابه "شعر الطبيعة في الأدب المصري"، وكتاب "أعلام مصر"، و"منهج دراسة الأدب المصري" ودراسة "الزمان في الشعر الجاهلي"، و"أزجال الشيخ خلف الغباري"، و"موسوعات مصر

في العصر المملوكي من منظور حضاري أدبي"، و"التناص في شعر ابن نباتة المصري"، و"السخرية في أدب الشيخ عبد العزيز البشري"، و"صالح الشرنوبي رائدا للشعر الحديث"، و"مع الجاحظ"، و"نقد الشعر في التراث المصري في عصوره الإسلامية"، و"في مناهج البحث الأدبي"، و"مصادر التراث العربي"، و"البلاغة المصرية"، و"تصوف ابن الفارض في القصيدة التائية الكبرى، و"الزمان في الشعر الجاهلي"، و"الإقليمية منهجًا لدراسة الأدب المصري"، و"دراسة في مقامات السيوطي"، و"كتاب التحدث بنعمة الله"، والمشاركة في ترجمة كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي إلى اليابانية، و"مناهج تجديد أمين الخولي للدراسة الأدبية"، و"دراسات في أدب مصر الإسلامية"، و"مصر في أدب الرحلة في العصر العثماني"، و"مناهج البحث الأدبي عند المصريين"، و"السخرية في أدب الشيخ عبد العزيز البشري"، و"حسين نصار ومنهجه في دراسة الأدب المصري"، و"مصر في نتاج شوقي"، و"التناص في التراث المصري والتواصل المعرفي"، و"دور النيل في الأدب المصري"، و"البيئات الثقافية والتنوع الأدبي"، و"الأثر الشعبي والصوفي في رواية سيرة الشيخ نور الدين"، و"المقامة المصرية وتداخل الأنواع الأدبية"، و"ظاهرة التأليف الموسوعي من منظور حضاري أدبي في العصر المملوكي"، و"هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف"، و"المقامات بين بديع الزمان الهمذاني وجلال الدين السيوطي"، و"الشخصية المصرية في الأدب العربي"، و"مناهج تجديد أمين الخولي في الدرس الأدبي"، و"نظرية بحث الشعر عند يوسف خليف"، و"مفهوم رشاد رشدي للأدب"، و"عز الدين إسماعيل ناقدًا"، و"ت.س. إليوت ناقدًا"، و"شوقي ضيف العالم والإنسان"، و"السيرة الذاتية للإمام الحافظ من مقاماته"، و"أدباء الشرقية"، و"التراث العربي بين الشفاهية والكتابية"، و"سليم حسن والشعر المصري القديم"، وغيرها من الدراسات والمحاضرات التي ألقيت في المحاضرات والندوات، وهو كم هائل من المؤلفات لم تحفل به سيرة ذاتية من قبل.

مصادر ثقافة الكاتب:

احتوت السيرة على العديد من الدراسات التي ذكرها الكاتب، سواء باستحضار عناوينها، أو بذكر نبذة مختصرة عن أهميتها في الثقافة العربية الإسلامية بشكل عام. ومنها كتابا "عبد القاهر الجرجاني" "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز"، وكتابا ابن أبي الإصبع "بديع القرآن"، و"تحرير التحبير"، و"حديث الأربعاء"، و"في الشعر الجاهلي" لطه حسين، و"كتاب التوضيح والتكميل في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، و"تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف"، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني"، و"ثمرات الامتنان"، و"الطبيعة والشاعر العربي" للأستاذ الدكتور حسين نصار، و"البخلاء" للجاحظ، و"الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي، و"يتيمة الدهر" للثعالبي، و"خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد الأصفهاني، و"فضائل مصر" للكندي، و "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، و"الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز" للشيخ عبد الغني النابلسي، و"خطط المقريزي"، و"العاطل الحالي والمرخص الغالي" لصفي الدين الحلي، و"المنصف" لابن وكيع التنيسي في نقد شعر المتنبي"، و"مقامات السيوطي"، و"مقامات الهمذاني"، و"مقامات الحريري"، وكتاب السيوطي "التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة" ، و"الفلاكة والمفلوكون"، إلى غير ذلك من الدراسات التي تأثر بها الكاتب، وشكلت مصادر فكره، وتكوينه العلمي.

خاتمة:

ما زال فن السيرة الذاتية يتجدد، وتطالعنا نماذج تفتح عوالم جديدة، ومساحات ممتدة ومترامية، تكشف عن سمات الانفتاح والتداخل والأصالة في الوقت نفسه. فجاءت نص "في ظلال الحياة" سيرة ذاتية تسرد ملامح من حياة مؤلفها، في إطار عرض ملامح هوية الشخصية المصرية، فرصد الكاتب الكثير من المعلومات عن علماء مصر، وشعرائها، وكتابها، وفنانيها، وخصوصية مؤلفاتهم الثقافية، والأدبية في مختلف الفنون والعلوم والآداب، فقدَّم شكلاً جديدًا من أشكال السير الذاتية، يمكن أن نطلق عليه "السيرة الموسوعية".

كشفت الدراسة عن أن السمة الأساسية التي تميز السيرة الموسوعية هي تعددية مصادر الثقافة وتنوعها في مختلف المجالات؛ فاحتوت السيرة على الخطاب التاريخي، والنقدي، والتعليمي، والتثقيفي، والتوعوي، والاجتماعي، والأدبي، راصدةً حياة المصريين على مدار عقد من الزمان، فاستطاع الكاتب أن يعبر عن فلسفته في الحياة من خلال تقديم محطات مهمة من المراحل التي مر بها المجتمع المصري سواء في الحياة العامة من خلال المشروعات التنموية الكبرى، وما بذلته مصر لمحاربة المستعمر، أو من خلال التأكيد على جهودها القومية ودورها في دعم الدول العربية الشقيقة، وفي مقدمتها فلسطين والعراق وسوريا والسودان.

وقد تميزت لغة الكاتب الاستطراد في بعض المواضع، والإسهاب في الوصف، والابتعاد عن المقاطع الحوارية، وقوة الترابط، وإثبات التواريخ، وأسماء الأعلام، ومؤلفاتهم، وأسماء الأماكن، وربط النشأة بالبيئة، وذكر مصادر ثقافته، والابتعاد عن التصوير الفني وعناصر التخييل، والإطناب في السرد التاريخي، والميل إلى الأسلوب التحليلي والنقدي، والتخطيط للكتابة في ضوء التعاقب الزمني.

وكشفت الدراسة عن اشتمال السيرة على العديد من الأحكام النقدية والفلسفية التي يضفرها المؤلف في ثنايا الحكي، بسلاسة وعمق؛ لتعبر عن خلاصة تجاربه العلمية والإنسانية، وفي الوقت نفسه؛ لتكون وثيقة تاريخية على مشواره العلمي، ونتاجه الفكري والثقافي، مما يمنحها الخلود عبر الأزمنة.

كما تأثرت لغة المؤلف تأثيرًا ملحوظًا بثقافته الشعرية، فجاء كل من العنوان الرئيسي للسيرة "في ظلال الحياة"، وعناوين فصولها السبعة، متشحةً طابع شعري، يماثل عناوين القصائد، والدواوين الشعرية، كما في "غروب الشمس وشروقها"، و"نسائم أمل، و"عبير الحياة"، و"ربيع الأمل"، و"حنين وأنين"، و"بدايات جديدة". كما تجلت ثقافة الكاتب الشعرية في تضمينه حوالي (59) بيت من الشعر للعديد من شعراء مصر في مختلف الأغراض الشعرية.

لقد اهتمت تلك السيرة بصناعة الذات، وتطور الهوية عبر الحكي في علاقتها بالظروف الاجتماعية والتاريخية التي مر بها المجتمع المصري؛ لذا فقد اشتملت على ثلاث سرديات ذاتية كبرى، الأولى هي سردية النشأة والتكوين في مسقط رأسه بلطيم، ويمكن أن نطلق عليها "السرد التمهيدي" الذي ينحو به الكاتب إلى تهيئة القارئ نحو مقبولية غاياته من السرد. والسردية الثانية، هي سردية التعلم في القاهرة، ويمكن أن نطلق عليها "سردية البؤرة"، حيث تمثل هذه السردية المركز الرئيسي للحكي في خطاب السيرة. أما السردية الثالثة، فهي سردية الرحلة إلى اليابان، والتي تمثل مرحلة النضوج الفكري للكاتب، الذي اتخذ منه مشروعية تأليفه تلك السيرة الموسوعية. وهذه السرديات الثلاث الكبرى تمثل تطور هوية الكاتب عبر الحكي منذ أن كان طفلاً يتلقى تعليمه في الكتاب، حتى صار أستاذًا لأدب مصر الإسلامية في جامعة القاهرة الآن، في رحلة زمنية استمرت قرابة السبعين عامًا، أمدَّ الله في عمره، ونفع بعلمه.

المصادر والمراجع

- إحسان عباس (1996): فن السيرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- أمينة بوحناش، ونادية بوتارية (2011م): فن السيرة في الأدب العربي الحديث، حياتي لأحمد أمين نموذجًا، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة منتوري، قسنطينة.
- تهاني عبد الفتاح شاكر (2002م): السيرة الذاتية في الأدب العربي: فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس، نموذجًا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن.
- جينز بروكميير، ودونال كربو (2015): السرد والهوية، دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- حسين فوزي النجار (1964م): التاريخ والسير، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- سهير القلماوي (1960م): فن كتابة السير، تاريخ هو أم أدب، الكويت، مجلة العربي، أبريل، ع17.
- شكري المبخوت (1992): سيرة الغائب سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، دار الجنوب للنشر، تونس.
- شهيناز بوصبع، ونجوى منصوري (2021م): الذاتية بين فن السيرة والرواية السيرذاتية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، مج14، ع2.
- شوقي ضيف (1956م): فنون الأدب العربي، الفن القصصي، الترجمة الشخصية، دار المعارف، ط4 القاهرة.
- عبد العزيز شرف (1992م): أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر.

- عبد المجيد البغدادي (2016م): فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع 23.
- عوض الغباري(2024م): " سيرة ذاتية "في ظلال الحياة"، دار المعارف، جمهورية مصر العربية.
- فيليب لوجون (1994م): السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- محمد عبد الغني حسن (1955): التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة.
- يحيى إبراهيم عبد الدايم (1975): الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.